أنوار السُّنَّة المُحمديَّة
شرح رياض الصالحين (٥)
باب التوبة (٣)

الشيخ أحمد السيد.

عطاء
البناء المنهجي

الفهرس

المقدمة..... ٣
التأكيد على هدف السلسلة:..... ٣
الحديث الأول: "أصبتُ حدًا فأقمه عليّ"..... ٤
أهمية التعامل مع الخطأ وأساليبه:..... ٤
أسباب التفاوت في التعامل مع الخطأ:..... ٦
المساحة الاجتهادية وغير الاجتهادية في التعامل مع الخطأ:..... ١٠
معنى ومقصد إقامة الحدود في الإسلام:..... ١١
الحديث الثاني: "لو أن لابن آدم واديًا من ذهب"..... ١٣
أهمية الحديث من حيث كونه من المنسوخ تلاوة:..... ١٣
فقه النفس البشرية:..... ١٤
الفرق بين منهج الوحي والمناهج الغربية في التعامل مع أهواء النفس:..... ١٤
كيف يهون على الإنسان مخالفة هواه؟..... ١٦
الحديث الثالث: "يضحك الله إلى رجلين"..... ١٨
رحمة الله بعباده وعدم معاجلتهم بالعقوبة:..... ١٨
فضل الشهادة في سبيل الله:..... ١٩
الخاتمة..... ١٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا تبارك وتعالىٰ ويرضىٰ، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي له الحمد في الأولىٰ والآخرة، وله الحُكم وإليه المصير.

نحمدُ الله ﷻ ونُثني عليه، ونعترف له بفضله علينا وبنعمه، ونتبَرّأ من حولنا وقوّتنا، ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق والعون والسداد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يقضي حوائجنا، ويغفر ذنوبنا، وييسر أمورنا، ويكشف كرباتنا، ويُفرّج همومنا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يُصلّي على عبده ورسوله محمد ﷺ، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يبعثه المقام المحمود الذي وعده.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيد.

أما بعد:

التأكيد على هدف السلسلة:

فهذا مجلسٌ جديد من مجالس رياض الصالحين، وهذا المجلس أُؤَكِّد في بدايته على الزاوية التي نتناول فيها هذه الأحاديث النبوية، وهي زاوية تتبع وتقصد هدي النبي ﷺ؛ ماذا فعل؟ كيف فعل؟ بماذا اعتنى؟ كيف أجاب؟ كيف أوصل رسالته ﷺ؟ إلى غير ذلك من بوصلة الهدي النبوي.

ليست الأمور فقط المتعلِّقة بطبيعة الحال بـ"كيف؟"، وإنما حتى بالحقائق الكبرى، بـ"ماذا" اعتنى النبي ﷺ؟ وما هي الحقائق التي بلّغها؟ هذا بالإضافة إلى الوقوف مع الأحاديث في ذاتها؛ مع الأبواب التي قصد الإمام النووي –رحمه الله تعالى– إلى مراعاتها وإثباتها عبر هذه النصوص.

في المجلس الماضي، كان الحديث عن حديث كعب بن مالك. والآن عندنا ثلاثة أحاديث بقيت في باب التوبة، وهو الباب الثاني. فالباب الأول كان –في رياض الصالحين– عن الإخلاص، والباب الثاني عن التوبة، والباب الثالث عن الصبر. فنحن اليوم –إن شاء الله– سنأخذ آخر ما في التوبة، وأول ما في الصبر.

الحديث الأول: "أصبتُ حدًا فأقمه عليّ"

فأما ما في التوبة من آخر الأحاديث: قال النووي –رحمه الله تعالى–:" وَعَنْ أَبِي نُجَيْد –بِضَم النُّونِ وَفَتْح الجيمِ– عِمْرانَ بْنِ الحُصيْنِ الخُزاعيّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرأَةً مِنْ جُهينةَ أَتَت رَسُولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فقَالَتْ: يَا رسول الله أَصَبْتُ حَدّاً فأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي، فَفَعَلَ؛ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمتْ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ؟، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسهَا للَّهِ عز وجل؟" [صحيح • أخرجه مسلم (١٦٩٦) باختلاف يسير].

هذا الحديث من الأحاديث المهمة؛ لأن السيرة النبوية فيها:

١) الجوانب المتعلقة بمعالي الأمور وبالأعمال الصالحة، وبإنجازات الصحابة وباتباعهم للرسول ﷺ، وببذلهم أنفسهم أمامه، وفداءً له ولدينه ﷺ.

٢) وفيها كذلك –في السيرة النبوية– الجوانب الأخرى التي فيها: جوانب خطأ بعض الصحابة والذنوب التي وقعوا فيها، وكيف كان النبي ﷺ يتعامل مع الأمرين، كما أنها تُبيّن لنا طبيعة المجتمع المسلم، وأن هذا المجتمع لا يخلو من الأخطاء، وكيف نتعامل مع الأخطاء.

أهمية التعامل مع الخطأ وأساليبه:

وقد يظن الظَّان أن قضية التعامل مع الأخطاء هي قضية ثانوية؛ لأن الإنسان أحيانًا يُركِّز على: كيف نفعل الصواب؟ كيف وكيف... أيًّا كان، حتى أحيانًا ترى في الأمور الدنيا ممكن أن يُركّز الناس على الجانب البنائي، الذي هو مثلًا حتى: كيف تعمل مشروع تجاري؟ كيف تنجح في دراستك؟ كيف تحافظ على صحتك؟ كيف...؟ إلى آخره، ولما تأتي الأمور كذلك الشرعية: كيف تطلب العلم؟ كيف؟ وكيف...؟

بينما هناك جانب آخر، وهو جانب الخطأ وكيف نتعامل معه، ومشكلة عدم الفقه في التعامل مع جانب الخطأ أنه قد يكون سوء التعامل معه سببًا في نقض كل الصواب.

حتى في السياقات الدعوية، السياقات الإسلامية أحيانًا تسير الأمور بشكل جيد طالما أن الناس ملتزمون بالصواب، وأحيانًا تحدث أخطاء، وعدم إحسان التعامل مع هذه الأخطاء أحيانًا يؤدي إلى انتكاسة بعض الناس، ممكن الإنسان يترك كل طريق الخير؛ لأنه تم التعامل معه عند خطئه بطريقة غير صحيحة، فيخسر الإنسان الدنيا والآخرة وهذه مشكلة كبيرة جدًا.

ولذلك حقيقةً لا يكتمل منهج إلا إذا أحسن القائمون عليه التعامل مع الأخطاء كما يُحسنون التعامل مع الصواب وبناء الصواب، وهذه قضية في غاية الأهمية، وفي غاية الخطورة، وفي غاية الحساسية، وهذا يعني مِن أكثر مَن يحتاج الحديث فيه: القائمون على التربية، وكل من له سياسة للناس؛ سواء سياسة سلطوية، أو سياسة تربوية وتأديبية، وما إلى ذلك.

نحن نقول: إن النبي ﷺ تعامل مع هذه الدائرة، بل الله ﷻ أنزل في كتابه آيات قرآنية مرتبطة ببعض الأخطاء التي وقعت في زمن النبي ﷺ -الذي هو زمن تنزُّل القرآن-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْهُمْ﴾

[آل عمران: ١٥٢]، وفي جانب آخر، نجد: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، ونحن نعلم أنه ما ضاقت عليهم أنفسهم إلا بسبب العقوبة الشرعية، يعني ليس مجرد تأنيب الضمير على الذنب، وإنما بسبب ما حصل من عقوبة.

أسباب التفاوت في التعامل مع الخطأ:

فهناك أخطاء وقعت من الصحابة في زمن النبي ﷺ، كيف تعامل معها؟ ثم من خلال ذلك نعلم نحن كيف ينبغي أن نتعامل مع الأخطاء، والتعامل مع الأخطاء لا يكون بمجرد التعامل معها من حيث الوسيلة -كيف ننصح؟- لا، وإنما التعامل معها من حيث المبدأ، هل المبدأ هو التشديد أم التيسير؟ بغض النظر عن الوسيلة التي تسلك بها التشديد أو تسلك بها التيسير، هل المبدأ هو العفو أم المحاسبة؟، متى يحاسَب الإنسان المسلم على خطئه؟ ومتى يُعفىٰ عنه؟

"عن أنس بن مالك: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجاءَهُ رَجُلٌ فَقالَ: "يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أصَبْتُ حَدًّا، فأقِمْهُ عَلَيَّ"، قالَ: ولَمْ يَسْأَلْهُ عنْه، قالَ: وحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلّى مع النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمّا قَضى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاةَ، قامَ إلَيْهِ الرَّجُلُ فَقالَ: "يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أصَبْتُ حَدًّا، فأقِمْ فِيَّ كِتابَ اللَّهِ"، قالَ: "أليْسَ قدْ صَلَّيْتَ معنا؟" قالَ: "نَعَمْ"، قالَ: "فإنَّ اللَّهَ قدْ غَفَرَ لكَ ذَنْبَكَ". أوْ قالَ: حَدَّكَ." [صحيح • أخرجه البخاري (٦٨٢٣)]، والحديث الذي معنا: قالت: "أَصَبْتُ حَدًّا" اذهبي كذا كذا... إلى آخره، ثمّ رجمها.

طيب متى يتعامل بالعقوبة؟ ومتى يتعامل بالعفو؟ وما طبيعة الذنوب التي تستوجب هذا؟ وهل هي مرتبطة بطبيعة الذنب؟ أم بطبيعة الشخص؟ أم بطبيعة المرحلة؟ هل هناك تأثير للشخص برأيكم في تأثير في مقامات الأشخاص الذين يقعون في الخطأ يؤثر في طبيعة الموقف الذي ينبغي أن يوقف من الشخص؟ نحن لا نتكلم عن الحدود الآن، نحن نتكلم عن عموم الأخطاء.

الجواب: نعم، الشخص قد يُؤثِّر في طبيعة الموقف الذي ينبغي أن يُسلَك مع المخطئ، وبطبيعة الحال طبيعة الذنب تستوجب تفاوتًا في الموقف الذي ينبغي أن يُتخذ من الخطأ، هناك من الذنوب ما هو مغلَّظ مُشدَّد فيه القول في الشريعة، وهناك من الذنوب ما هو أخف من ذلك، وهل المرحلة والزمن تؤثر على طبيعة التعامل مع الخطأ؟ نعم، تؤثر على طبيعة التعامل مع الخطأ.

ولو تفكر مُتفكِّر، فقال: أيهما أشد في ذات الذنب؟: فِرار من فرَّ يوم أُحد؟ أم تخلُّف من تخلَّف يوم تبوك؟ أُحد؛ لأنه:

١) أولًا: هناك نص واضحٌ تمامًا في أن الفرار يوم الزحف: أول شيء من السبع الموبقات.

٢) الشيء الثاني :﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ **[الأنفال: ١٦]**.

٣) والشيء الثالث: أن هذا الفرار الذي حصل يوم أُحد قد أدَّى إلى قتل الكثير من الصحابة.

٤) الشيء الرابع: أن هذا الفرار الذي كان يوم أُحد قد أدىٰ إلى إصابة النبي ﷺ في وجهه، في أسنانه.

- **سؤال: كيف كان التعامل مع هذا الخطأ الكبير؟**

بالعفو، كله بالعفو، لم تُطبَّق أية عقوبة، حتى العتاب الذي أنزله الله ﷻ في القرآن كان عجيبًا في مسحته الحانية هذه، عتاب يعني مُهدئ، مُلطِّف، عجيب جدًا، حتى إنّك تجد في ثنايا هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وتجد تكرار قضية العفو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] انظر تكرار العفو، لماذا؟

عندما صار للثلاثة في تبوك كيف تم التعامل معهم؟ اختلف تمامًا. في الميزان العسكري ما تأثير تخلُف الثلاثة يوم تبوك؟ ولا شيء، وتعرفون أن الثلاثة الذين تخلَّفوا ليسوا من رؤوس الأجناد، ليسوا من القادة العسكريين مثل: خالد بن الوليد ولا أبو عبيدة ولا حتى عمر بن الخطاب، الذين هم وجودهم يؤثِّر في الحدث تأثيرًا كبيرًا، بل أنتم تعلمون أن اثنين من هؤلاء الثلاثة لم تسمع عامة الناس باسمهما أصلًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا في هذه الحادثة باعتبار أنهم تخلفوا، فهم ليسوا من وجوه الناس الكبار، وإن كانوا من أفاضل الصحابة، لكن أقصد ليسوا من حيث التأثير في الأحداث الكبير جدًا، والعدد في

تبوك -مثلما ذُكر في الروايات المشهورة في السيرة- كانوا ثلاثين ألف في الجيش! ولو كانوا دون ذلك فهو أيضًا أكبر جيش، أو من أكبر أعداد الجيوش التي اجتمعت للنبي ﷺ في حياته، بينما في أُحد هم أصلًا كانوا ألف، ثمّ انصرف من انصرف من المنافقين، قيل: بالثلُث. ولو كان أقل من ذلك، لكن لم يبق الكثير، والمكان في المدينة وحصار، وبعد ذلك يفرُّ جزءٌ، وينتُج عن هذا الفرار المصائب التي حصلت، ومع ذلك ﴿ولَقَدْ عَفا عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]! وبالمناسبة الآيات: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: ١٦] نزلت قبل أُحد، في تهديدٍ مُسبق؛ وعيد! لأنها نزلت في سورة الأنفال، متعلقة ببدرٍ، ومع ذلك كان التعامل بالعفو، ثم العفو، لماذا؟

طبعًا هي تحتاج تأمُّلًا كبيرًا، لكن نحن الآن في السياق، هل يمكن أن يُقال: إنّ المرحلة لها تأثيرها في هذا الحدث، وأن أُحدًا في البدايات، في مقابل تبوك التي كانت بعد استواء ووضوح واستقرار كل شيء؟ هذا السؤال للتفكُر ليس للإجابة: هل يمكن أن يُقال: أن أُحد هذه هي في البدايات؛ يعني تعتبر في المراحل الأولىٰ...

وأنتم تعرفون أن **لدينا مرحلتين في الجهاد:**

١) ما قبل الخندق.

٢) وما بعده.

وما بعد الخندق: "الآنَ نَغْزُوهُمْ ولَا يَغْزُونَنَا". وما قبل الخندق حتى من ناحية السمات، لها سمات متقاربة (بدر، وأُحد، والخندق) من حيث:

- **قلة العدد.**
- **بساطة الإعدادات أو الإمكانات.**
- **اشتداد الحال.**

تعرفون بدر: "أنَّه قال يومَ بَدرٍ: اللَّهُمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ هذه العِصابةَ من أهلِ الإسلامِ؛ فلا تُعبَدْ في الأرضِ أبدًا" [إسناده حسن • أخرجه مسلم (١٧٦٣)]، بالمناسبة حتى في أُحد ورد في البخاري أو في مسلم:

" اللَّهُمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ هذه العِصابةَ من أهلِ الإسلامِ؛ فلا تُعبَدْ في الأرضِ أبدًا"، حتى في أُحد، والخندق تعرفون أنّ كل المسلمين حوصروا في المدينة، يعني تقريبًا هناك سمات مُشتركة، بعد ذلك صار الانطلاق إلى خيبر وحصار وفتح، وغنائم كبيرة جدًا، وخيرات، وبعد ذلك ما حصل بعدها.

هل يُقال إن هذا له تأثير؟ الأمة المسلمة هذه أو الجماعة المسلمة كانت لا تزال في بدايتها وفي بداية تأسيسها، وكانت تحتاج إلى قدر من العفو والصفح مع وجود العتاب طبعًا؛ ولأنه تعرفون يعني ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] في الآيات نفسها: ﴿أَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ وكان هذا من العقوبات الإلهية.

واختلف المفسرون في معنى ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ قيل: "كما غممتم النبي ﷺ بانسحابكم، فأثابكم الله غمًّا فجازاكم على غمكم إياهُ، بأن أصابكم بالغم" ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقيل غير ذلك، الأقوال مشهورة ومعروفة في: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، لكن أصابهم الله بالغم، ولا شعور أعلىٰ، وأكثر إيلامًا من أن تكون سببًا في جرح النبي ﷺ، وفي اختلال الصفوف، يعني قد يكون هذا كذلك له تأثير، من ناحية أن الشعور بالندم تلقائيًا وصل إلى أعلىٰ حالاته.

يعني تخيل مثلًا: الآن لو هُجر الذين فرُّوا يوم أُحد، قد يكون ألم الهجر بالنسبة لهم أخف بكثير من ألم الهجر الذي حصل لهم يوم تبوك؛ لأن ألم الهجر لن يصل أصلًا إلى حرارة الألم الداخلي الذي تسبب به الفرار، والذي أدىٰ إلى جرح النبي ﷺ وقتل حمزة ومصعب والناس، وكأن الندم وصل عندك إلى أعلىٰ درجة، فلو عوقبت الآن عقوبة فهي أصلًا قد تكون مستلذَّة بالنسبة لك: إنه أنا أستحق! نعم، يعني هناك هجر! أستحق الهجر! هناك جلد! نعم أستحق الجلد!

بينما في تبوك، لا، كانت صعبة وشديدة ومختلفة، وأصلًا تعرفون في تبوك لم يحدث فيها ذاك القتال، يعني صار يمكن بعض الأشياء اليسيرة، وهي أصلًا تعتبر ليست معركة قتال ولا صار فيها هزائم، ولا فيها انسحابات، ولا فيها مصائب، وذهب الجيش سالمًا، ورجع سالمًا، ما في شيء، بينما في أُحد، لا ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

نحن الآن يعني كما قلنا: هذه إجابات للتفكُر، ومساحات للتفكير فقط، لكن المعنى الذي نود الوصول له هو أن التعامل مع الأخطاء يتفاوت، وهذا التفاوت له أسباب:

- **أحيانًا السبب يكون متعلق بالشخص الذي وقع في الخطأ.**
- **أحيانًا السبب متعلق بطبيعة الخطأ والذنب.**
- **أحيانًا السبب متعلق بالسياق وطبيعة المرحلة: هل هناك إنذار مسبق؟ هل هناك آثار كبيرة ترتبت في هذه المرحلة وعلى هذا الخطأ؟ هل أنت في البداية لازلت لم تُجرب ولا تعرف ولا تفهم جيدًا؟ أم كثُرت عليك الأعذار، ثم كثرت، ثم جربت، ثم عوتبت، ثم...؟ فهمتم الفكرة؟ فهذه لها سياقها وهذه لها سياقها.**

المساحة الاجتهادية وغير الاجتهادية في التعامل مع الخطأ:

ثم بعد ذلك بطبيعة الحال هناك مساحة اجتهادية في التعامل مع الأخطاء، وهناك مساحة غير اجتهادية.

المساحة غير الاجتهادية هي: ما جاء به النص في الحدود، وهو هذا الحديث أصلًا في قضية الحدود، لا يوجد مساحة اجتهادية في التعامل مع الذنوب الموجبة للحدود إذا وصلت إلى الإمام الشرعي الذي يُقيم الحدود على الناس، وقبل ذلك "تَعافَوا الحُدودَ فيما بَيْنَكم".

حتى لو وقع في ذنب يوجب الحد، سواءً كان مُتعلقًا بحقوق الخلق، مثل ماذا؟ في القذف تعلمون أنه يجب أن يطلب المقذوف حقه، سواءً كان متعلقًا بالقذف أو متعلقًا بحق الخالق ﷻ. مثل: إنسان شرب الخمر مثلًا أو وقع في الزنا، أو نحو ذلك، الإنسان لا يلزمه شرعًا أن يطلب التطهير من الذنب بإقامة الحد عليه.

لو وصل إلى الإمام أو من يقوم على إقامة الحدود من القُضاة الشرعيين وما إلى ذلك ممن لهم الاعتبار الشرعي في إقامة الدين وإقامة الحدود، ينتقل الأمر من الاختيار للوجوب والإلزام، تعرفون القول: "هلَّا كان هذا قبلَ أن تأْتيَنا به" خلاص إذا بلغ، تعرفون عندما شفعوا في المخزومية: "أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ؟!"، هذا كله بعد أن يبلغ الإمام.

لكن **هل يطلب الإنسان الذي وقع في الذنب الحد تطهيرًا لذنبه؟** الجواب: نعم، يطلبه إذا أراد، من باب التطهير؛ لأن الحد يُطهِّر، والحدّ يُكفِّر الذنب، ومن هذا ما فعلته هذه المرأة الجهنيّة، لكن قبل أن ندخل في تفاصيل ما فعلت، نرجع إلى أساس الفكرة.

إن هناك مساحة للتعامل مع الأخطاء اجتهادية، وهناك مساحة ضيقة لا يوجد فيها اجتهاد، وإنما في الأساس يجب أن يُقام فيها حد الله ﷻ هذا فيما لو بلغ الإمام، وتوفرت فيه طبعًا الاعتبارات الشرعية المعروفة في الشهادة.

نرجع إلى أساس الفكرة، أساس الفكرة –سلّمكم الله– هي: أن سيرة النبي ﷺ كما أن فيها الجانب المتعلِّق بالصواب؛ صواب الأفعال من الصحابة، ففيها جوانب التعامل مع الأخطاء التي وقعت، وأن السياقات الإسلامية والدعوية والتربوية والإصلاحية هي في أمسِّ الحاجة لفقه التعامل مع الخطأ كما هي في حاجة إلى فقه بناء الصواب والقيام عليه. وكما قُلت: **إساءة التعامل مع الخطأ قد تؤدي إلى هدم كل الصواب، وقد يفقد الإنسان التزامه بالدين بسبب سوء التعامل مع الخطأ، وهذه قضية خطيرة جدًا جدًا.**

لما نأتي في زمن مثل زماننا هذا، يزداد الاحتياج إلى فقه التعامل مع الخطأ؛ لأننا ذكرنا أصلًا أن الأزمنة تؤثر في طبيعة التعامل، لا شك أنها تؤثر، ولا شك أن الموضوع يحتاج إلى فقه خاص وكبير عند من يقوم على أخطاء الناس في مثل هذه الأزمنة التي يكثُر فيها الفساد والشر، ويقل فيها الصواب والإصلاح، وبالتالي تتسع مساحة الخطأ، من الذي يقوِّم الناس؟ وكيف يقوِّمهم؟ والنبي ﷺ كان حريصًا جدًا جدًا على معنى ألا يُنفَّر الناس عن الدين، والكلام في هذا كثير، هكذا أخذنا تصوُّرًا عن موضوع أهمية التعامل مع الخطأ.

معنى ومقصد إقامة الحدود في الإسلام:

ثم نأتي لهذا الحديث بعينه الذي فيه هذه المرأة الجهنية التي "أَتَت رَسُولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا فقَالَتْ: يَا رسول الله أَصَبْتُ حَدّاً فأَقِمْهُ عَلَيَّ" –الآن هذا طلب من جهتها فقط؛ لكي تتطهر من هذا

الذنب- فَقَالَ النَبِيُّ ﷺ لِوَلِيَّهَا: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمتْ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ؟، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسهَا للَّهِ؟" [صحيح • أخرجه مسلم (١٦٩٦) باختلاف يسير].

تعريف الحدود في الشريعة -كذلك هذا باب مهم- "تعريفها" أقصد أين موقعها؟ ما هي النظرة لها؟ فتطبيق الحدود غائب اليوم في أكثر البلدان، وأحيانًا الإنسان الحريص على الدين، الغيور له يتَشَوَّف لرجوع قضية الحدود وإقامة الشريعة، وحصل في بعض الساحات والمساحات إنك تشعر أن البعض يودُّون وكأنه: "الله أكبر! في ذنب يوجب الحدّ"! أنه ما صدقنا صار شيء لكي يتم تحكيم الشريعة وإقامة الحدود، وتنزل البركات من السماء... إلى آخره، هي القضية ليست كذلك، هي القضية: نعم، إقامة الحدود هي باب من أهم أبواب وصورة من أهم صور تطبيق الشريعة، لكنها ليست كل شيء، ويجب أن تفهم معناها في الإسلام.

هذه الآن زانية، التعامل معها والوصف النهائي لها "جادَتْ بنفسِها للهِ" انظر الفرق حتى في نفسية من يُؤَسَّس على هذا المعنى، فمن أتى بصورة "لعنة الله على المجرم العاصي، دعنا ننزل عليه سوط الشرع حتى يتأدب الناس"؟ هذا المعنى -يتأدب- ليس خطأً في ذاته لما يُطبق في مكانه الصحيح وفي موضعه وبفقهه ومن أهله. وسوف يأتينا -إن شاء الله- في سلسلة (خير القرون) في تعامل عمر τ مع موضوع شرب الخمر، لما كثر شرب الخمر في الناس مع الفتوحات ومع البلدان، هذه يعني تأتي في موضعها.

تخيلوا أنتم الذي كان يشرب الخمر في زمن النبي ﷺ، لما قال من قال من الصحابة: "اللَّهُمَّ العنْه، ما أَكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إِنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ." يوصَف بأنه يحب الله ورسوله، وهو يُجلَد على الخمر! طيب هو يُقام عليه الحد الآن، وفي نفس الوقت لم ينظر إليهِ باعتباره كائنًا مشؤمًا أو كائنًا نجسًا ينبغي أن يوطأ بالأقدام، وينبغي أن يُجلد بالسياط، هكذا جلد كأنه التشفي من العصابة الفسقة المجرمين الذين يستحقون أن... إلخ، فمعنى إقامة الحدود في الشريعة لا يُنظر إليه بهذه السطحية، لا، بل هو معنى عظيم.

ومن جملة المقاصد الكبرى التي فيه: التطهير من الذنب، هذا معنى. إيش الحديث؟ حديث عبادة رضي الله عنه في البيعة: "ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا فَأُخِذَ به في الدُّنْيَا، فَهو له كَفَّارَةٌ". فالحدود كفارات، وهذا معنى عظيم، أن يُفهَم بهذا الاعتبار. طيب فهذه نقطة مهمة جدًا.

ثم هذه المرأة كانت تعلم أن الحدّ هو الرجم، وتعلم ما هو الرجم، ومع ذلك، جادت بنفسها لله ﷻ، وسُمِّي هذه "جودًا بالنفس"، وهذه صورة من صور الجود، وهي راجعة كذلك إلى النظر في قضية الفقه في قضية الحدود؛ يعني هي الآن ليست ملزمة بأن تأتي أصلًا، لكنها أتت! وأتت فقط لتطهِّر نفسها، وهذا التطهير هو فيه إزهاق للروح، وإزهاق الروح هذا اعتُبر بميزان النبي ﷺ كأنه مثل الذي قاتل في سبيل الله، وتقدم تقدُّمًا زهقت بسببه فيه روحه، فيقال فيه: جاد بنفسه لله. فهذا مثلها، أن هذه جادت بنفسها لله، كيف؟ أنها هي طلبت أن يقام عليها الحد بتلف روحها.

على أية حال، الكلام حقيقة كثير فيما يتعلق بهذه القضية.

طيب نختم بما عندنا من حديثين في نهاية الباب، أنا كنت أنوي أن نأخذ في باب الصبر كذلك، لكن الطاقة يعني محدودة.

الحديث الثاني: "لو أن لابن آدم واديًا من ذهب"

الحديث الثاني: حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوب اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" متفق عليه.

أهمية الحديث من حيث كونه من المنسوخ تلاوة:

هذا الحديث مهم، وأهميته ليست فقط من معناه، وإنما أهميته لأنه ورد فيه أنه كان من القرآن ثم نسخ، ورد في أكثر من حديث أن هذا كان مما يتلى من القرآن، ثم نُسخ، وهذا لا شك دليل على أهميته.

وأنتم تعلمون، **النسخ**:

- **فيه ما هو نسخ للتلاوة.**
- **فيه ما هو نسخ للحكم والتلاوة.**
- **فيه ما هو نسخ للحكم فقط وإن كانت بقيت التلاوة.**
- **وأمثلتها معروفة في كتب التفسير، كتب علوم القرآن، لكن هذا النص من جملة ما نُسخ تلاوة وإن لمْ ينسَخ حكمًا.**

فقه النفس البشرية:

طيب هو حديث عظيم، وهذا الحديث تحت نافذة من النوافذ المهمة التي فيها -يمكن أن نُسمِّيها- نافذة "**الفقه بالنفس البشرية**" وهي نافذة عظيمة جدًا في الدين، وباب من أبواب الدين، وموضوع من موضوعات الوحي، بل يمكن أن نقول أنه من الموضوعات الكبرى، أو من الموضوعات الأساسية؛ وذلك أنك لو نظرت في كتاب الله فرأيت وتتبعْت الآيات التي تتحدث عن الإنسان إذا مسّته الضراء، إذا مسه الخير، إذا مسه الشر، إذا ذاق الرحمة من بعد الضراء، وإذا تغير حاله؛ تجد آيات كثيرة في هذا المعنى، تُبيّن حال الإنسان وطبيعته، وأنه ﴿خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وغير ذلك من الآيات، ثم لما تجد في حديث النبي ﷺ، تجد كثيرًا من الأحاديث التي تبين حقائق في النفس البشرية.

الفرق بين منهج الوحي والمناهج الغربية في التعامل مع أهواء النفس:

وهذه الزاوية في النظر للإنسان هي زاوية يفتقدها علم النفس البشري الحديث الذي لا يتعامل مع النفس البشرية باعتبارها نفسًا مخلوقة لله ﷻ وفيها ما فيها من الأهواء والأدواء المتعلقة بالروح، وأن لها نظامًا في قضية التزكية والتصفية، وما إلى ذلك علم النفس لا يتعامل مع الإنسان بهذه الطبيعة.

بينما نجد في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ كثيرًا من الأحاديث عن هذه القضية، ومن جملتها هذا الحديث.

هذا الحديث لا يتحدث عن الكافر، هنا يتحدث عن الإنسان: "لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وادِيانِ"، وفي رواية: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا".

سؤال: ما قيمة الوادي الثالث لمن عنده واديان من ذهب؟ الآن، لما يكون في واحد ثروته ١٠ مليار دولار، ما الفرق بينها وبين أن تكون ثروته ٥ مليار دولار، إيش الفرق؟ يعني أنت لو تريد أن تستهلكها في الاستعمال الشخصي لك ولعائلتك، فما في فرق بين ٥ و١٠ مليار دولار، وما راح تقدر تخلصها لو عشت ١٠٠ عام، إيش طبيعة تعامل الذي عنده ٥ مليار مع تحصيل الخمسة الأخرى؟ هو يتعامل لكي يحصل عشرة وكأنه ما معه شيء! ويحرص عليها حرص الفقير على شيء من المال، فقره بين عينيه!

هذا الآن؛ هذا النبي ﷺ يبين لك، يقول لك هذا طبع بشري، هكذا الإنسان، يحب الاستكثار، الإنسان لا يقنع ولا يرضى، وتوجد استثناءات! يعني: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ثم تأتيك الصفات التي هي استثناء لإخراج الإنسان من هذه الحالة، هنا نفس الشيء، فمن حيث الطبع البشري: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِن مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا".

هذا أصلًا يُعينك أنت حتى على فهم الإنسان والناس والواقع والحياة، لا تتفاجأ ولا تستغرب: لماذا ينهمك الناس في الدنيا؟! هكذا الله ﷻ طبع الإنسان، يعني الإنسان لا يحتاج إلى تكلُّف حب الدنيا، أو حب الزيادة في المال من غير احتياج، هذا ما يحتاج أن يقتنع، يعني لا يحتاج من يعمل له دورة، ويقول له: كيف تحب المال أكثر؟ هو يحب المال أكثر دائمًا، هكذا يحب الدنيا يتعلق بها، هذا طبع إنساني بشري.

ثم جاءت الرسالة الإلهية التي تجعل الإنسان يستعلي على هذه الطباع، التي هي عبارة عن أهواء، **وطبعًا من الأشياء والفروقات المهمة بين المناهج الغربية الإنسانية وبين منهج الوحي أن الوحي لا يدعك تستسلم لهذه الأهواء**، ويقول لك: هذا عادي وطبيعي، يعني ليس فيه مشكلة، بل بالعكس: كيف تعزّز من طبيعتك، ومن ذاتك، ومن وجودك، ومن مكانتك ومن كذا...

الإسلام بعكس ذلك، هو لا يقول لك: كيف تخرج فقط؟ لا، هو يقول لك: أنت أصلًا مخلوق، ووُجدت لك الرسالة لكي تخرج من هذه المشكلة، يعني أصلًا لم تُبعث الرسل إلا -كما قال الشاطبي:- "**لإخراج الناس من دواعي أهوائهم، حتى يكونوا عبيدًا لله اختيارًا، كما هم عبيد له اضطرارًا** ".

هناك عبودية اضطرارية قهرية، وهناك عبودية اختيارية، أنت تختارها، هذه العبودية الاختيارية عدوها الأساسي الهوى -هوى النفوس-، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وانتهى، الآن يأتيك الوحي ليقول لك: كيف تستعلي على هواك؟ كيف تخرج من أسْر هواك بأنوار الوحي الذي نزل؟

فمن جملة ذلك: حب المال، والتعلق به، والتشوُّف إليه تشوُّفًا يجعل الإنسان أسيرًا له، إلى درجة أن النبي ﷺ قد وصف بعض حالات التعلق بالعبودية نصًّا، وقال: "تَعِسَ عَبْدُ الدينار" "عبد!" ولم يسجد لهذا الدينار سجدة، ولم يركع له ركعة، ولكنه "عبد" اسمه. وصفه: عبد الدينار، وعبد الدرهم.

ثم تأتي الحقيقة في الجملة الثانية: "ولَنْ يَمْلَأَ فاهُ إلَّا التُّرابُ" هذه حملها كثير من العلماء على القبر والموت، في القبر سيمتلئ جوف الإنسان من تراب، بدل أودية الذهب التي كان حولها ومعها سيُحاط بالتراب، هذه الحقيقة التي من جعلها ماثلة أمام عينيه، فقد اتخذ سببًا من أعظم أسباب التزكية.

كيف يهون على الإنسان مخالفة هواه؟

من أكثر ما يُسهِّل على الإنسان الامتثال لأوامر الله ﷻ هو أن يضع الموت نصب عينيه، هي معادلة -حقيقة- من حيث المستوى النظري بسيطة جدًا، وإن كانت من حيث التطبيق صعبة، في هذه المعادلة باختصار شديد: **كلما كان الإنسان أكثر استحضارًا للموت وللآخرة؛ سهل عليه أن يتخلَّص من هواه، وأن يقاوم بأمر الشرع أمر الهوى وداعي النفس**، هي هكذا.

إيش وظيفة الشيطان الأساسية؟ أول ما يفعله أن يُنسيه هذه الحقيقة، قبل أن يأتي الأمر بالمعصية، هو ينسيه حقيقة أنه سينتقل، وإذا ما استطاع أن ينسيه إياها؛ مدَّها، يعني أنت الآن عمرك ١٩ سنة، ١٨ سنة، ٢٠، ٢٥، إيش الذي يجعلك أنت تموت؟ يعني الناس يمكن أن يموتوا، لكن لمَ تموت أنت؟! من يقول: إنك من الممكن تموت؟ ما في سبب يدعو للموت! هذا هو طول الأمل، وهذا الذي وصف الله ﷻ به الشيطان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾. هذه التي في سورة الحديد: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ من هو الغَرور؟ الشيطان، الغَرور: الشيطان.

فالحقيقة الثابتة هي: "ولَنْ يَمْلَأَ فاهُ إلَّا التُّرابُ". التي هي -من الممكن أن تقول- الانتقال إلى الدار الآخر، القبر، الموت، البعث، النشور، الجنة، النار... هذه الحقيقة من استحضرها هان عليه التكليف ومخالفة الهوى وترك الحرام، ومن لم يستحضرها ثقل عليه التكليف وترك الحرام ومخالفة الهوى، بهذه البساطة الشديدة جدًا في المعادلة النظرية.

لما تنزلها على أرض الواقع تصبح صعبة جدًا جدًا؛ لأن هناك شيطان خفي لا تراه، مهما تعبتَ فلن يتعب، ومهما كللتَ فلن يكلَّ ولن يملَّ، وسيظل معك يراودك على إغفالك عن هذه الحقيقة أو إبعادها عنك، ولو لم يكن إلا هذا السبب لصعوبة استحضار هذه الحقيقة لكفى، فكيف وطبيعة الحياة وزخرفها وزينتها ومشاغلها؟ والنفس البشرية -بغير الشيطان- وأهواؤها ورغباتها وأمانيها؟

لأن النسيان أحيانًا يكون من النفس. والأماني أحيانًا تكون من النفس، وأحيانًا تكون من الشيطان، فكيف وقد اجتمعت هذه كلها؟! فمتى يسلم الإنسان؟ وكيف يسلم؟ ومتى ينجو؟ وكيف يستحضر؟!

ولذلك لما ترجع إلى القرآن تجد أن هذه القضية أساسية ومهمة جدًا. ترجع إلى السُّنة تجد أن هذه القضية حاضرة وأساسية، ترجع إلى هَدي القرون الأولى -خير القرون- ستجد أن هذه الحقيقة حاضرة دائمًا، تَذَكُّر الآخرة دائمًا، فيرجع الإنسان ويقول: إن من أهم ما ينبغي أن يربِّي الإنسان نفسه عليه وأن يربِّي طلابه عليه، وأن تُنَشَّأ الحالات الإسلامية والتربوية والإصلاحية عليه: مركزية الآخرة، وأهمية استحضارها، وخطورة الغفلة عن ذكر الموت وما فيه، هذه قضية مركزية وأساسية ومهمة وكبيرة.

ولم يورد النووي –رحمه الله ﷻ– هذا الحديث لهاتين الجملتين، وإنما أورده للجملة الثالثة: "وَيَتُوب اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". لأنه أخرجه في باب توبة.

الحديث الثالث: "يضحك الله إلى رجلين"

الحديث الأخير: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ، قال: "يَضْحكُ اللَّهُ سبْحَانُه وتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يقْتُلُ أحدُهُمَا الآخَرَ يدْخُلاَنِ الجَنَّة، يُقَاتِلُ هَذَا في سبيلِ اللَّهِ فيُقْتل، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيسْلِمُ فيستشهدُ" [متفق عليه]. وهذا الحديث فيه أمور متعددة:

رحمة الله بعباده وعدم معاجلتهم بالعقوبة:

أولًا: فيه رحمة الله ﷻ وكرمِهِ بعباده، فهو الرحيم الذي لا يعاجل بالعقوبة، والذي يعطي فرصة للإنسان، مع أنه قتل حبيبًا من أحبابه ووليًا من أوليائه! ليس فقط أن الله ﷻ لا يعاجله بالعقوبة، وإنما يجعله شهيدًا، يصطفيه، ويرضى عنه، ويُدخله الجنة!

- **الصحابة الذين أثخنوا في الصحابة قبل إسلامهم:**

وأنا حقيقة دائمًا أتعجب في هذه الصورة تحديدًا مما حصل من الصحابة الذين أثخنوا في الصحابة قبل أن يسلموا وقبل أن يكونوا صحابة، مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وأمثالهما، خاصة يوم أُحد، يعني يوم أحد أنت عندك في تاريخك، نعم هو يوم المصيبة ويوم الدماء ويوم الآلام ويوم الأحزان.

ولو أَخرجتَ خالد بن وليد من معادلة يوم أحد ربما لم تحصل هذه المصيبة، يعني هي طبعًا حاصلة في قدر الله لما يريده الله ﷻ من حِكم، لكن أقصد فقط من حيث الأسباب العسكرية، فعليًّا الذي قام بالالتفاف والذي عمل المصيبة هذه هو خالد بن الوليد فترتب على ذلك قتل الصحابة، واختلال الصفوف وسفك دماء و... إلى آخره، ثم بعد ذلك –سنوات يسيرة– يقول النبي ﷺ على المنبر: "ثم أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ".

هو نفسه هذا الذي كان يثُخن في أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد، صار لقبه سيف من سيوف الله أو سيف الله! وصار قائدًا من قادة المسلمين، وهذا يعني –المعنى الأعظم الذي فيه هو– أن الإسلام

يَجُبُّ ما كان قبله، وهو من جهة مرتبط بصفات الله ﷻ؛ الرحمة، الحلم، أن الله ﷻ كريم، جواد، تواب، رحيم، غفور. ولذلك إخراج النووي –رحمه الله تعالى– هذا الحديث في باب التوبة، إخراج جميل أن الله ﷻ يتوب على الإنسان، وهذا واحد.

فضل الشهادة في سبيل الله:

ثانيًا: في فضل القتل في سبيل الله ﷻ، وأن من أفضل ما يحقق الدرجات للإنسان هو أن يُقتل في سبيل الله ﷻ؛ لأنه المعنى الذي ذُكر الإكرام بسببه، "ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ علَى القاتِلِ، فيُسْلِمُ".

ما قال: "فيُسْلِمُ" فقط، وإنما "فيُسْتَشْهَدُ"! يعني كأن المحورية صارت في قضية الشهادة باعتبارها أنها من أهم أسباب دخول الجنة، بل وكأن هي النتيجة الحتمية، أو النتيجة –دعنا نقول– الأصل؛ لأن من يستشهد يدخل الجنة، إلا من ورد فيه الاستثناء.

الخاتمة

طيب نكتفي بهذا القدر في هذه الأحاديث، كما قلت: كانت النية أن نأخذ كذلك بداية باب الصبر لكن يسّر الله ﷻ ما يسَّر، فنسأل الله ﷻ القبول والعون والسداد، وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.